على القمة

نظرت اليها ، وهي شماء تُرهب كما لاح في أفق السموات كوكب

فأعجبني منها السموق ، وهالني تطاولها والريح تطغى وتصخب

وطار خيالي نوقها ووراءها يصوّر من أطيافها ما تغيّب

عجائب لم تخطر على البال مثلها ودنيا من الاحلام تزهو وتعجب

وقلت : « سعيد من تطاول كفه ذراها ، وتدري عينه ما تحجّب »

*

دلفت اليها ، وأخطو تسبق الخطا وفي النفس شوق يستحث ويلهب

هو الشوق للمجهول يهمس طيفه ويهفو رؤاه مغريات وتقرب

هو الشوق للرُقيا . وفي الحي حافز اليها فيرقى في الحياة ويغلب

دلفت فلم أنظر الى الخلف مرة وهل ينظر العجلان ماذا يعقب ؟

وما عاقني جهد ولا وقع عثرة وأنستني الاشواق أني متعب

*

هنا القمة الشماء يا حسنه هنا ! ويا حسن ما يدنو الى النفس مأرب

تأملتها فرحان أخفق نشوة وأوشك أغذى من سناها وأشرب

وقلت : « هنا يا نفس أشرف قمة وأرحب أفق في السموات يُرقب

« رأتك من فوق القلال طليقة ولم يبق مستور عليك مغيب

فقري هنا يا نفس جد سعيدة فليس وراء الافق يا نفس مطلب »

وأغمضت عيني سابحاً في خواطري وبي نشوة تطغو بنفسي وترسب

*

فما راعني الا الزمان يلفني الى الضفة الاخرى كما لفّ لولب

الى أين ؟ لا تعجل . رويدك ، هينة فما هكذا تطوى الاماني وتذهب

وما هكذا يُجزى الذي جد جده الى القمة الشماء والقلب ملهب

وخلف في قاع من السفح زادهُ وما عزه في ذلك الوعر مركب

*

رويدك يا هذا الزمان فانني من الهوة الجرداء أخشى وأرهب

وإن لا يكن بدٌّ من السير فلنطق الى الخلف إني عاذرٌ لك مُعتب

تألفته يوماً ، فان عدتُ لم أعد الى غربة تجفو عليّ وتنكب

*

ولكنهُ لم يصغ لي في ضراعتي وما زال يهوي بي ولا يتنكب

الى الهوة الجرداء فالسير مجدب الى الهوة الجرداء فالدهر يلعب !

سيد قطب